

صورة الجزائر في رواية "ضمير الغائب" لواسيني لأعرج

د. نسيم شمام
جامعة خنشلة

ملخص

ضمير الغائب رواية انطلق فيها واسيني الأعرج من دافع ذاتي يتحرى فيه الصحفي "الحسين" حقيقة مصرع والده "المهدي" أمات مجاهدا أم خائنا؟. ليكتشف أن والده من قادة الثورة الأوفياء. وعلى الرغم من ذلك يُحاكم بتهمة المساس بأمن الدولة ويُؤمر به فيوضع في مشفى الأمراض العقلية ليُبرمج هناك و يصبح شبيها لنماذج المجتمع، لكن في هذا الدافع الذاتي الفاشل ظاهريًا، دافع لمن يملكون القضايا ذاتها ل طرحها وكشفها للعلن.

مقدمة

تعد الرواية نصًا نثريًا يعالج القضايا المتعلقة باهتمامات الإنسان في قالب سردي تجسده شخصيات توضح الأحداث وتتفاعل معها، فتغدو مجتمعًا حيًا بمشاغله، فهي الحياة وتصويرها يأخذ منها القارئ العبر. وهنا وجب أن نتساءل كيف صوّرت الجزائر في رواية "ضمير الغائب"؟

حتى نجيب عن هذا التساؤل وجب ضبط جملة من الأمور أهمها: تعريف الرواية و تعرف رواية ضمير الغائب من السطح والعمق.

1. تعريف الرواية:

نص نثري تخيلي سردي واقعي غالبًا، يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم، وهي تمثيل الحياة والتجربة واكتساب المعرفة. فالرواية تصور الشخصيات وظائفها داخل النص وعلاقاتها فيما بينها وسعيها إلى غايتها ونجاحها أو إخفاقها في السعي.¹ فقد ظهرت في بلادنا وقت الاستعمار وبلسانه، لكنها ما لبثت أن صوّرت باللسان العربي. فبعد انقشاع ظلام ليل الاستعمار الحالك أشرق فجر الرواية الجزائرية العربية سنة 1974 على يد الرائد الأول أحمد رضا حوحو في روايته (غادة أم القرى) التي كتبها بالحجاز.² وعرفت بعدها قفزة نوعية نتيجة جملة من المسببات والظروف أجملها الأستاذ الأخضر بن هدوقة في نقاط أربعة هي:

1. الثورات الثقافية والصناعية والزراعية في الجزائر المستقلة.

2. تشجيع الدولة للكاتب لمسيرة ثورة البناء والتشييد

3. حضور ومتابعة النقاد لكل ما ينشر في الساحة الادبية

4. تسهيل عملية النشر للكاتب.³

من أجل ذلك ازدهرت الرواية العربية في الجزائر. وظهر رواد كثيرون أمثال واسيني الأعرج الذي أغنى المكتبة الروائية بروايات كثيرة منها رواية ضمير الغائب. فما مضمون هذه الرواية؟ وما غايته من تأليفها؟

للإجابة على هذا التساؤل وجب عليها تعرف الرواية من العمق والسطح.

أولاً- البنية العميقة للرواية: "ضمير الغائب" رواية للكاتب الجزائري واسيني الأعرج⁴، نشرت في جريدة المساء سنة 1986م لأول مرة ثم ضمن مطبوعات اتحاد الكتاب العرب بسوريا. نص يستشرق وضعا قاسيا كان في طور التكوين لينفجر في 1988 ويتحول بعدها في سنة 1993 إلى مأساة⁵ تنطوي هذه الرواية من حيث بنيتها العميقة على

خمس أجزاء:

1. موضوع الرواية: قال روجر فاوولر في كتابة اللسانيات والرواية: « تعكس الروايات الحقائق الاجتماعية والاقتصادية ونزوات المستهلكين »⁶ ، أي أن الرواية تعيد تشكيل الواقع الذي يلامس حياة القارئ ويثير اهتمامه . فرواية ضمير الغائب تعالج قضية شائكة تتعلق بالتاريخ والمجتمع والسياسة معا ، بل الوطن كله . - التاريخ : إذ عالج تاريخ الثورة التحريرية وما حدث خلالها من تصفيات جسدية لشخصيات ثورية أو خائنة .

- المجتمع : عالج الرواية السؤال الذي كان يطرح قبيل الاستقلال عن كُنه الشخصيات المشاركة في الثورة أ كانوا ثوارا حقاً أم خونة ؟ - السياسة : عالج الرواية نظرة الساسة وقت الاستقلال إلى هؤلاء (المجاهدين) وإلى أولئك (الخونة) ؟

فموضوع الرواية إذن : يتعلق بالبحث عن الحقيقة التي قهرها التاريخ وعجز المجتمع عن إيجادها وفشلت السياسة في حلها ببساطة فالتاريخ يكتبه المنتصرون وبقي السؤال مطروحا عن حقيقة كثير من الشخصيات الثورية .

2. بنية الرواية : بنى الكاتب روايته على أساس درامي قائم على المأزق الإنساني الباحث دائما عن الحقيقة المخبأة عمداً ، وعن جدوى الوجود في حاضر مجهول الماضي . فهذه القطيعة بين الحاضر والماضي سببت ضياعا للناس . كما بنيت الرواية على حقيقة عذاب الانسان في سبيل تحقيقه حياة كريمة له وللمحيطين به .

3. لغة الرواية: اعتمد الأعرج أربع مستويات لغوية مختلفة في روايته، فكان لكل شخصية لسان مفصح عنها مُميّن لها : - العربية الفصحى الراقية: والتي تدل على براعة الروائي ومطوعة اللغة له . ومثالها قوله : (شاهدت بقايا الكلمات الجميلة تلفظ أنفاسها الأخيرة والأشجار تنتحر جماعات جماعات وتحرق أغصانها نفسها) زيادةً على لبعه باللغة في تراكيب مبتكرة مثل : (تتقيأنا الحانة) فبعد أن قضى وقتا طويلا في الخمار لم يخرج بإرادته بل هي من تقيأته ؛ في إشارة إلى أنه شرب كثيرا إلى حد أنه لم يتقيء فقط بل إن الحانة تقيأته.

- العربية الفصحى البسيطة : المجسدة في لغة الصحافة والتي وظفت مناسبة مع العمل الصحفي حين اذاعة خبر او اقتطاعه من جريدة، ومثالها قوله (لظرف قاهر وخاص مرتبط بحالة مرضية غادرنا الزميل الصحفي الحسين بن المهدي) - العربية العامية الجزائرية والتي وظفت مجازة للسان العوام كعمي حمو مثلا الذي يكرر لازمة (خسارة الدم اللي ضاع) . إضافة الى توظيف الروائي للعامية المشرقية في مستهل الرواية على سبيل التوشيح ، (اللي مضيع ذهب بسوق الذهب يلقاه)

- اللغة الفرنسية التي وردت في شكل عبارات قصيرة كثيرا ما كانت تترجم بجانبيها عبارات اللغة العربية مثالها (كلاب المدينة Le chiens de la vie) ، وعليه فإن توظيف هذا الكم من المستويات اللغوية دليل بين على المجتمع الذي يتكلم الروائي عنه .

4. نسيج الرواية : أي الطريقة التي كتب بها الكاتب أحداث روايته ، لذا نقول : نسجت الرواية بطريقة مرنة ، مطوعة فأعان ذلك على استحضار كم هائل من الذكريات المتعلقة بطفولته وصباه ومثالها قوله : (طيور النورس التي كنا نقص أجنتها ونحن أطفال) . كما أعاناه على توظيف الحكاية وتفجير اللاوعي بأحداث وأزمات جرت في أمكنة مختلفة أذكت الصراع الذي أعطى للرواية نكهتها الحركية والمثيرة والمبنية على الترقب والمفاجأة معا : (حين طلبوني من البداية لم أكن مرتاحا ... بدأت أكون بعض التصورات وأعيد تركيب العملية العسكرية كلها ... أخذوني أنا وامرأة ... لكنهم أمروني برفع أصبع الشهادة ...).

5. شخصيات الرواية : الشخصيات ركن رئيس في صناعة الرواية ، فهي: « العنصر الأدبي الذي يظهر ضمن عطاءات اللغة التي يغذيها الخيال للنهوض بالحدث والتكفل بدور الصراع داخل اللعبة السردية العجيبة »⁷. أي أن الشخصية في العمل الأدبي ترسم ملامحها اللغة و يصنعها خيال الكاتب وتكون وظيفتها محددة بتحريك الأحداث وإدارة الصراعات ضمن إطار المنهج السردى . وهذا يعني أن الشخصية لا توجد إلا في النص المكتوب -أو النص الشفهي حتى وإن كانت مأخوذة من الواقع ، لإعادة تشكيلها في النص يحولها من شخص إلى شخصية⁸ . ومن هنا يمكننا تصنيف الشخصيات إلى صنفين :

1. شخصيات رئيسة

- الحسين بن المهدي (البطل) : صحفي جزائري يعمل في إحدى الجرائد الوطنية يرغب في أن يقوم بتحقيق يبرز فيه ملامسات موت والده " المهدي " ، لكن عمله هذا تعترضه كثير من العراقيل تبدأ بتهميشه ثم طرده من العمل . وعلى الرغم من ذلك يواصل تحقيقه إيماناً منه بشرعية ما يبحث عنه. ويصل لنتيجة يقضي فيها القاضي بأن يؤخذ إلى المشفى لاستئصال التفاهات التي تمنعه الكلام .وهي بذلك نهاية رمزية لمن أراد أن يكشف شيئاً لا يريد من يده السلطة كشفه ، فالجنون هو المآل الأرحم للمخالف لما يخطه هؤلاء.

2. - شخصيات ثانوية (مساعدة / فرعية)

①- شخصيات رجالية

①- المهدي بن محمد (والد البطل) : ولأجله كُتبت الرواية ، فهو من شهداء الثورة ، يستحضره البطل بين الفينة والأخرى ، فهو كالجذوة في داخله ، يذكىها بتذكره ، فهو رمز للحقيقة ورمز لضرورة البحث عن الحقيقة وكشفها مهما طال زمن اخفائها .

②- حمّو : رفيق المهدي ،أورده الكاتب شخصية محفزة لذهن القارئ ، يعلق على مجريات وأحداث الرواية بلازمة يرددها دائما : (خسارة الدم اللي ضاع ...) ، وهذه اللازمة تجعل القارئ يفكر في مغزاها رابطا الماضي بالحاضر مقبلا بذهول على المستقبل متسائلا عن مكمن الخسارة؟! فعبارة : " الدم اللي ضاع " مكونة من شقين :

الدم : أي الشهداء الذين عطروا هذه الأرض بدمائهم الطاهرة .
اللي ضاع : أي الذي خسره في الزمن الحاضر ، وإذا كانت الخسارة حاضرة ، فكيف سيكون المستقبل؟ مما يحيل على دلالات مفعمة بالوحدة والحزن والبكاء والحزن الماضي.

③- عمي البوحفصي : رفيق الشهيد " المهدي " كان يحبه وظل فخورا به . يرمز إلى الأشخاص الأوفياء للثورة والفخوريين بما قدم الثوار.

④- قاضي المحكمة : الذي كشفه المهدي بأنه سي الجليلي صديقه أيام الثورة ويرمز إلى الخونة الذي استفادوا من موت رفاقهم المناصب والأموال .

⑤- الشرطي : الذي استوقف الحسين ومنعه من الدخول إلى مقر الجريدة ، انسان متزمت ، يطبق الأوامر. أعطي أكثر من حجمه فصار يسمح ويمنع حسب رغبته هو .

⑥- الميموني: موظف بسيط في أرشيف الجريدة فعل المستحيل في الحصول على سكن حتى إنه اقتحم بيتا مثلما يفعل الكثير، لكن الشرطة رمت أغراضه في الشارع وكان سيسجن لولا تدخل مدير الجريدة. وأما إيراد شخصية الميموني فتكشف لنا أمران رئيسان : - الأول : مشكلة السكن - الثاني : أن كثيرا من الناس لا يقومون بأعمال مجانية . .

7 - سي بلقاسم : " مدير الجريدة " يطلب منه الحسين القيام بتحقيق بمناسبة عيد الثورة عن والده " المهدي " في البداية لم ير مانعا . لكن فيما بعد رفض التحقيق ، فشخصية سي بلقاسم تسلط الضوء على شريحة من قطاع الإعلام لا تستطيع أن تتبنى رأيا إلا بعد الرجوع إلى السلطات في البلاد. مما يعني غياب حرية الفكر والرأي المزعج لراحة المسؤولين !

8 - كريمو طفل البلدة الطيب ! صار لايهمه شيء إلا تحقيق الربح السريع ، " إذ يقوم بالإشهار بصوت عال لبائعات الهوى ، وهو رمز للشباب الضائع في المدينة (الجزائر) .

إضافة إلى شخصيات رجالية أخرى مثل حميد صديق الحسين اتسم بالذكاء ، الذي أدخل المستشفى التجميلي وركب له مخ من الجبس فصار معتوها ! وكذا شخصية احميدا ولد الجيران الذي مزقته شظية لغم.

2. الشخصيات النسوية في الرواية

1 - عيشة المنورة : زوجة المهدي ، امرأة محبة متفانية وفيه صبورة ، ضلت تكافح من أجل أن تثبت للجميع أن زوجها مات شريفاً ، وفي غدوها ورواحها بين المكاتب تصوير واقعي لما تعيشه البلاد من بيروقراطية في الأوراق و تسويق العمل.

2 - مريم : حبيبة الحسين ، ضل وفيها لها رغم أنه بدأ حياة جديدة مع أخرى ، فحنينه إليها فيه حنين إلى ماضيه بكل تفاصيله . فهي ترمز للفتاة البريئة المحبة و كذا للجزائر التي حلم بها الشهداء وأرادوها لأبنائهم .

3 - ساسا فندا : امرأة لعوب بمجرد أن سقط حبيبها (الحسين) تأبطت ذراع رجل آخر. ترمز إلى جزائر الاستقلال التي لم يصدق الحسين أن تصل إلى هذا المستوى من التدني.

أما الآن فسنعرج للبنية السطحية لاستكناه أشياء جديدة أو تأكيد أشياء استبطنناها .

ثانيا - البنية السطحية: أي الصورة الخارجية التي بدت عليها رواية " ضمير الغائب " (الشاهد الأخير على اغتيال مدن البحر)، فدراسة البنية السطحية تعني إلقاء الضوء على ما ظهر في السطح وحسب . وسنعرض لهذه الأمور ضمن النقاط الآتية :

1- العنوان : العنوان : « إظهار لحفي ووسم للمادة المكتوبة ، إنه توسيم وإظهار ، فالكتاب يُخفى محتواه ، ولا يفصح عنه ، ثم يأتي العنوان ليظهر أسرار ، ويكشف العناصر الموسعة الخفية أو الظاهرة بشكل مختزل موجز »⁹ ؛ فالعنوان يكشف محتوى النص، لأنه أول ما يلاقي الناظر في المكتوب ، ومن خلال التعريف الوارد أعلاه ينجلي لنا أمران :

- الأول : وظيفة العنوان : إذ إن وظيفته تكمن في إيضاح وكشف مضامين الكتاب

- الثاني : شكل العنوان إذ يجب أن يكون مختزلا موجزا ، والإيجاز بأبسط تعريفاته : الدلالات الكثيرة في الكلمات القليلة ؛ حتى إن بعض النقاد يسمون العنوان " النص المصغر " أو " النص الصغير " ¹⁰ ثم إن الدارس للعنوان يجب أن يقرأه انطلاقا من :

- المستوى الأول : ينظر إلى العنوان بنية مستقلة لها اشتغالها الدلالي الخاص.

- المستوى الثاني : تتخطى فيه الانتاجية الدلالية لهذه البنية حدودها متجهة إلى العمل ومشتبكة مع دلالية دافعة ومحفزة انتاجيتها الخاصة بها ¹¹ .

دلالة العنوان الرئيس : برز العنوان الرئيس في الرواية على ثلاث صور،

- في الواجهة : جاء عنوان الرواية مجزعا إلى جزئين :

-الجزء الأول: " ضمير الغائب " وكتبت بخط أكبر ، ففي الغلاف كُتب العنوان الأساسي وحده باللون الأحمر العريض اعتلاه اسم الروائي باللون الأسود وتحتته سطر أحمر. فاللون الأحمر الفاقع يحرك الطاقة¹² وهو لون الخط الموجود تحت اسم الكاتب ليؤكد اشتراك الكاتب في الرواية ثم إن امتداد الحمرة إلى العنوان فيه دلالة على المحنة والألم الأزمنة والكسوف الذي ستشهده البلاد ولعل هذا ما يفسر السواد الذي كُتب به " واسيني الأعرج " ويمكننا أن نقرأها قراءة أخرى من خلال دلالة الألوان¹³ فالأسود الذي يؤكد الرسامون أنه قيمة تغطي بقية الألوان مثلما يغطي الظلام معالم الأشياء ، فمن هذا المنظور يدل الأسود على الغموض، والأحمر الفاقع على الضوء، وبما أن هذا اللون غطى العنوان الرئيس وخطا تحت اسم الروائي ، إذن فالروائي هو من سيسلط الضوء على ضمير الغائب .

فما معنى ضمير الغائب؟ كلمة " ضمير " مأخوذة من الفعل " أضمر " فقد جاء في لسان العرب: «أضمرت الشيء: أخفيته... وأضمرت الأرض: غيبتها إما بموت أو بسفر... والضمير: السر ودخل الخاطر... والضمير الشيء الذي تضمه في قلبك»¹⁴ إذن الضمير الشيء المخفي ومحله القلب . لكن كلمة " غاب " أيضا معناها الاختفاء فقد ورد في المنجد مثلا : « غيب ، غاب الشيء عن فلان استتر وعن البلاد سافر »¹⁵

مما يعني أن كلا اللفظتين تدلان على الاستتار والاختفاء وعلى الرغم من ذلك كتبهما الراوي باللون الأحمر قاصدا كشفهما .

فمن هو الضمير الغائب ؟ من خلال الرواية ينجلي لنا تماما أن المقصود بالضمير الغائب " المهدي بن محمد " (رمز الحقيقة المغيبة) الذي ضل ابنه الصحفي " الحسين " يطاردها ويستحضر والده لإعادة هذا الغائب لينحصر الكسوف الذي غطى المدينة طويلا ، وتسمى الأشياء بمسمياتها ويفرز الحسن من المسيء، و يعرف الشهيد ويعرف الخائن ، فيكرم الأول ويحاكم الثاني لذا قال المهدي للقاضي في نهاية الرواية : (الذين تحاكموهم اليوم كان يفترض أن يحاكموكم) إذن فضمير الغائب هو الحقيقة الغائبة التي ينبغي على كل حر العمل على كشفها لأن في ذلك احقاقا للحق وشعورا بالأمان النابع من الشعور بالعدل .

- أما في الصفحة 3 : فظهر الجزء الثاني من العنوان مسبقا بالجزء الأول كتبت هذه العبارة بالأسود الدال على الأزمنة ، فمن الشاهد الأخير على اغتيال مدن البحر؟ قد يتراءى للقارئ في الوهلة الأولى أن الشاهد الأخير " المهدي " لكن الحقيقة غير ذلك ، فالشاهد " الحسين " ، فكلمة الشاهد معناها من شهد الأمر (رآه وسمعه) . وبطل الرواية بحث عن الحقيقة عند الجميع حتى بلغ به أن استحضر والده الشهيد ليكشف له ما خفي بقصد وبغير قصد ويشرح له ما التبس ، إذن فالحسين هو الشاهد لكن لماذا هو الأخير ؟ ببساطة لأن هذا الرجل هو آخر من تسول له نفسه كشف شيء لا يريد المسؤولون كشفه ! فمن يفعل ذلك فإن مصيره معلوم فإما إخفاء في الأحرار الموحشة فلا يعرف له قبر (كما حدث مع المهدي) . وإما إخفاء في معالم المدينة بتغييب العقل (كما حدث مع الحسين ومن قبله محمو) . والشيء المشترك بين المصيرين هو تنكير التاريخ . فيختلط الحابل بالنابل وتغيب الحقيقة ، وكلما أتى زمان وأراد شخص ما أن يعرف شيئا لن يستطيع إلى ذلك سبيلا . ويكون التاريخ بذلك مليئا بالثغرات وبالتناقضات .

- شاهد على ماذا ؟ أجاب الروائي بأنه شاهد على اغتيال مدن البحر، فقد عاش الحسين في المدينة التي احترق والده لاجلها فهو شاهد على الاغتيال ، الذي يعني القضاء على أمر غيلة وخديعة ومباغنة ، فكلمة " اغتيال " كانت الأنسب في التعبير عن قتل أحلام المجاهدين في مستقبل مشرق لأبنائهم ، والذين قاموا بهذا الاغتيال هم الأبناء أنفسهم الذين ضحى آباؤهم وإخوتهم في سبيل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة يحكمها الخيرون فما قام به سي بلقاسم من خنق لحرية

الصحفي هو اغتيال حرية الرأي ، وما قام به كريمو في أزقة الجزائر من نشر للرذيلة هو اغتيال للشرف وما قام به الميموني هو اغتيال لتزاهة العامل ووفائه وإخلاصه لعمله. وما قام به القاضي والمحامون في المحكمة : اغتيال للعدل. إلى غير ذلك من الأعمال السلبية التي قامت بها الشخصيات لتميرير وتبرير سلوكات معينة وأما المقصود بـ " مدن البحر " التي اغتيلت هي " الجزائر " ، وقد أتت كلمة " مدن " جمعا للدلالة على أمرين :

- الأول : للدلالة على الجزائر نفسها ، لأن كلمة جزائر في القاموس جمع جزيرة وهي القطعة من الأرض التي تحيط بها المياه من كل جانب، لذلك قال " مدن البحر " فلا مدينة في البحر إلا الجزيرة ولا مدن إلا الجزائر .

- الثاني : للدلالة فعلا على مدن كثيرة ، فلا تخص القضية مكانا بعينه ، بل إن الاغتيال طال مدنا أخرى غير الجزائر فكثيرة هي النقاط التي شهدت غياب الحق وتسلبت الرويضة ثم إنه قال : " مدن " والمدينة تحمل معنى (قد يكون زائفاً) للتحضر والضجيج ، ففي المدن تضيق معالم كل شيء نبيل ، كل من يسكنها يجري لاهثا ليحقق ربحا ماديا . ثم إن عبارة (الشاهد الأخير على اغتيال مدن البحر) أتت بين قوسين بعد عبارة " ضمير الغائب " وفي ذلك دلالة على أنها شارحة لها ، أي أن الشاهد الأخير على اغتيال مدن البحر هو من يجلي لنا الضمير الغائب الذي أعاده للحضور أكثر من مرة في الرواية. ليأتي فوق كل هذه العبارات والتراكيب اسم الروائي "واسيني الأعرج" الذي كتب بحجم أكبر لأن العمل بمسحه شخصيا، فهو من سلط الضوء على ضمير الغائب وحرك الشاهد الأخير وكشف قناع الشخصيات التي اغتالت حلم الشهداء .

- وأما في الصفحة 5 : فجاء: العنوان بالصورة ذاتها - في الصفحة المحللة سابقا - بإضافة كلمة " رواية " في نهاية الصفحة . لتبين النوع الذي ستعرض فيه هذه الوقائع فهي ليست مقالا سياسيا ، ولا حكاية قبل النوم إنما هي رواية.

هذا ما وصلنا إليه من خلال العنوان الرئيس ، فماذا عن العناوين الفرعية ؟

2- العناوين الفرعية : جاءت العناوين الفرعية مسميات للفصول وأجزاء الفصول

- الفصل الأول : بداية الرحلة : بدأت بتعريف الكاتب بنفسه وبوالدته ووالده وشارعه .

- الفصل الثاني : بداية الرحلة : بوصول الحسين إلى معلومات جديدة حول أصحاب الأرقام الخمسة بدأت الرحلة الفعلية فشرع يسقط الأقنعة عنها وعن خبايا الدولة العميقة.

- الفصل الثالث : - أهيار المدينة : بالكسوف الذي ينتظرها، إذ لم يدم الانتظار طويلا حتى قبض على الحسين وحُقق معه وانتهى به الأمر في مشفى الأمراض العقلية !

3- الغلاف: الواجهة الأولى لأي كتاب، وله علاقة منطقية به. ففي غلاف رواية ضمير الغائب رُسم باب عتيق فتح قليلا ليكشف جزءا بسيطا من دار قديمة وقد لون جزء كبير من الواجهة باللون البني، ويظهر اسم المؤلف في أعلى الصفحة وبخط أكبر ولون أحمر عنوان الرواية، في إشارة إلى أن هذه الرواية توضح جزء من الماضي ، كما يظهر أسفل الصفحة شريط أحمر أبيض في وسطه مربع أحمر صغير كتب عليه باللون الأبيض .

4- حجم الرواية: جاءت رواية ضمير الغائب بحجم صغير، وعدد من الصفحات بلغ 269 صفحة .وهي بذلك متوسطة الحجم مقارنة برواياته الأخرى .

5 - التوشيح: في الصفحة السادسة من الرواية وعلى يمين فاتحة الراوي نجده قد كتب العبارات الآتية [اللي مضيع ذهب في سوق الذهب يلقاه . اللي مضيع محب ، يمكن سنة وينساه . بس اللي مضيع وطن ، وين الوطن يلقاه ؟ بالعامية

المشرقية ، وفيها دلالة على القيمة العظيمة للوطن ، فهذا التوشيح له علاقة بالمضمون الذي يعرض احتمالية ضياع الوطن الذي ما فتئ ينظر بأمل لأبنائه على ضميرهم يأفل ، لأنه ضمير غائب وليس ميتاً. لذا فالتوشيح إنذار لكارثة ستحل؟! خاتمة

أظهرت لنا الرواية جملة من القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عكستها الشخصيات في تصرفاتها و آرائها . وكشفت المستور على كثير من الأمور المحصورة التي يجب الانتباه لها إن أردنا مستقبلاً أفضل . فصورة الجزائر في الرواية بدت مخيبة لآمال الشهداء ، يملؤها الجور والفساد ، لكنها صورة عرضية لأن جزائر الشهداء ستعود متى عاد "الضمير الغائب".

مراجع وهوامش

- ¹ - لطفي زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية 'عربي، انكليزي، فرنسي'، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، ص 99
- ² - أحمد رضا حوحو، عادة أم القرى وقصص أخرى، تقدّم وسيني الأعرج ، سلسلة الأونس، الجزائر ، 1989 ، ص 5
- ³ - الأخضر بن هدوقة ، نظرة عامة حول الرواية الجزائرية ، جريدة الشعب ، الجزائر، (1994.12.21)
- ⁴ - واسيني الأعرج : روائي و جامعي جزائري ولد عام 1954 بقرية سيدي بوجنان ولاية تلمسان ، يشغل حالياً منصب أستاذ كرسي بجامعة الجزائر المركزية والسربون الجديدة ، تنتمي أعماله الروائية إلى المدرسة التجريبية التي تبحث عن التجديد والحركة له روايات عديدة منها (وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر، نوار اللوز، الأمير) ترجمت بعض أعماله إلى العديد من اللغات منها (الفرنسية - الإنجليزية - الألمانية...)
- ⁵ - واسيني الأعرج ، ضمير الغائب "الشاهد الأخير على اغتيال مدن البحر"، منشورات الفضاء الحر، بيروت، ط1 (1984)، الفضاء الحر 2001 ، آخر صفحة من غلاف الرواية
- ⁶ - روجر فاوولر ، اللسانيات والرواية ، ت أحمد مومن ، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2006، ص14،
- ⁷ - عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، المجلس الوطني للفنون والآداب ، الكويت ، ديسمبر 1998
- ⁸ - أورد فيصل الأحمر في كتابه معجم السيميائيات إشارة إلى الفرق بين الشخص والشخصية ، راجعا في ذلك إلى آراء النقاد (عبد الملك مرتاض ، محمد عزام ...) الذين أجمعوا أن ثمة خلطا بين المصطلحين و صوبوا أن ما يوجد في العمل الأدبي هو الشخصية ؛ ذلك أنها كائن حركي حي ينهض في العمل السردى بوظيفة الشخص في الواقع .
- ⁹ - محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية " التشكيل ومسالك التأويل "، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 (2012)، ص11
- ¹⁰ . شبه الدكتور عبد الملك مرتاض في كتابه تحليل الخطاب السردى " معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق "، العنوان بالنص الصغير يتعامل مع نص كبير.
- ¹¹ . بسام قطوس، سيميائية العنوان ، وزارة الثقافة ، الأردن ، ط1 (2001) ، ص33
- ¹² . شاكر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 267 ، مارس 2001 ، ص272
- ¹³ . يرى علماء النفس والاجتماع أن الألوان ليس لها معانٍ محددة ، فلكل مجتمع تفسيره الخاص للألوان ؛ فاللون الأحمر يدل على الفرح عند الهنود و يدل على الثورة والغضب عند شعوب أخرى ، أما الأسود فهو شريف عند الإيرانيين لأنه يذكره أئمتهم (ما وقع بكربلاء) في حين يدل السواد على الحداد في كثير من الثقافات . وأما الأبيض فيدل على النقاء والطهر عند المسلمين في حين يدل على الحزن والفناء عند الهنود مثلاً.
- ¹⁴ . ينظر ابن منظور ، لسان العرب ، باب الضاد مادة (ض م ر)
- ¹⁵ . كرم البستاني وآخرون ، المنجد في اللغة والأعلام ، مادة (غوي-غير) ، ص563